3

تربية الأولاد

مقومات شخصية المربي

المربي

إعداد
أبو عمار
ياسر العدل

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

وبعد..

المربي هو الضلع الهام في مثلث التربية الذي يتكون من الطفل والمربي والعملية التربوية، إذ أن الطفل أول ما يفتح عينيه ويرى في الوجود منزله، وذويه، فتنطبع في نفسه أول صور الحياة مما يراه من حالهم وطرق معيشتهم، فتتشكل نفسه وتتكون شخصيته ويتأثر بالبيئة المحيطة به.

يقول الإمام الغزالي: الصبي أمانة عند والديه، وقلبه الطاهر جوهرة ساذجة، خالية من كل نقش وصورة، وهو قابل لكل نقش ومائل إلى كل ما يمال به إليه فإن عود الخير وعلمه نشأ عليه، وسعد في

الدنيا والآخرة أبواه، وكل معلم له ومؤدب، وإن عُوّد الشر، وأهمل إهمال البهائم، شقي وهلك، وكان الوزر في رقبة القيم عليه، والولي له.

يقول ﷺ: «**كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ**».

وإلى هذا أشار أبو العلاء بقوله:

وينشأ ناشيء الفتيان منا على ما كان عوده أبوه

ومادان الفتى بحجى ولكن يعوده التدين أقربوه

لذا لزم المربي سواء كان الأب أو الأم الذي يقوم بالعملية التربوية أن يتحمل أعباء المسئولية، وأن يُحسن من نفسه ويتحلى بالصفات الكريمة والأخلاق الحسنة، فإن عين الأطفال معقودة عليه.

قال عقبة بن أبي سفيان لمؤدب ولده: «ليكن أول ما تبدأ به من إصلاح بني، إصلاح نفسك..».

من هنا جاءت مسئولية الوالدين في تربية أبنائهم، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا ﴾ (التحريم:٦).

فعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا ﴾، «عَلِّمُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ الخَير»(١).

وقال صلى الله عليه وسلم: «كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ»(٢).

فلابد من بذل الجهد والعمل الدؤوب في إصلاح الأطفال، وتصحيح أخطائهم على الدوام وتعويدهم الخير، ولذلك قرر الإمام الغزالي رحمه الله في رسالته (أيها الولد): «أن معنى التربية يشبه عمل

(١) رواه الحاكم، وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.
(٢) متفق عليه.

الفلاح الذي يقلع الشوك، ويُخرج النباتات الأجنبية من بين الزرع، ليحسن نباته، ويكمل ريعُهُ - زيادته ونماءه-».

ويؤكد الإمام بن القيم أن غالب فساد الأبناء في فساد الآباء فيقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فمن أهمل تعليم ولده ما ينفعه، وتركه سدى، فقد أساء غاية الإساءة، وأكثر الأولاد إنما جاء فسادهم من قبل الآباء، وإهمالهم لهم، وترك تعليمهم فرائض الدين وسننه فأضاعوهم صغارًا، فلم ينتفعوا بأنفسهم، ولم ينفعوا آباءهم كبارًا، كما عاتب بعضهم ولده على العقوق، فقال: يا أبت! إنك عققتني صغيرًا، فعققتك كبيرًا، وأضعتني وليدًا، فأضعتك شيخًا».

ولكي ينجح المربي في تحقيق هدفه من إصلاح الأولاد فإن عليه أن يكون متحليًا بالعديد من الصفات والمقومات التي تؤهله إلى التوجيه والتربية،

وفيما يلي نستعرض أهم هذه المقومات:

أولًا- الإخلاص:

فعلى المربي أن يحرر نيته ويخلص لله في كل عمل تربوي يقوم به حتى يتقبل الله عمله ويبارك له سعيه ويحسن له إخراج ثمرته، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ﴾ (البينة:٥).

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى**»(١).

ثانيًا- التقوى:

وتلك ميزة ينبغي أن يتصف بها المربي لتنتقل تباعًا إلى من يربيه، وتقوى الله هو أن تجعل بينك وبين عذاب الله وقاية، فلا يراك حيث نهاك، ولا

(١) متفق عليه.

يفقدك حيث أمرك، والتقوى هي وصية الله الدائمة للأولين والآخرين، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ (النساء:١٣١)

وحض الله عليها كثيرًا بندائه المؤمنين بأن يتقوا الله، فقال تعالىٰ في كثير من الآيات: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾.

وهي وصية النبي ﷺ: «**اتَّقِ اللهَّ حَيْثُمَا كُنْتَ، وَأَتْبِعْ السَّيِّئَةَ الحَسَنَةَ تَمْحُهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ**»(١).

والمربي يدخل في مضمون هذه الأوامر والتوجيهات دخولًا أوليًا، لكونه القدوة الذي يؤخذ منه وينظر إليه، ولكونه المسئول الأول عن تربية الولد على أسس الإيمان ومعالم الإسلام(٢).

---

(١) متفق عليه.

(٢) «تربية الأولاد في الإسلام».

ثالثًا- العلم:

والعلم هو التاج الذي يتحلى به المربي، فلابد أن يكون عالمًا بما يربي عليه الأطفال من أمور الحلال والحرام، ومبادئ الأخلاق، وغرس القيم، فلقد بدأ الله - عَزَّ وَجَلَّ - بالعلم قبل القول والعمل حيث قال: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ ﴾ (محمد:١٩)، وكذلك ينبغي على المربي أن يكون عارفًا بنفسية الأطفال، عالمًا ما يصلحهم، متقنًا للوسائل والأساليب التي تؤثر في شخصيتهم، فثقافة الطفل وحبه للمطالعة واهتمامه بالمعرفة فضلًا عن حفظه للقرآن والسنة والعلوم الشرعية يعود في المرتبة الأولى إلى توجيه وعناية المربي له.

رابعًا- القدوة:

والتربية بالقدوة هي ثمرة الصفات السابقة، وهي مخزون المربي الذي يعود أثره على الأطفال،

فالولد بفطرته يُقلد ويحاكي الكبار، ويعتقد الطفل في سنواته الأولى أن كل ما يفعله الكبار صحيح، وأن آبائهم أكمل الناس، وأفضلهم، لهذا فهم يقلدونهم ويقتدون بهم[١].

والأطفال يتعلمون بالقدوة والمثل أكثر بكثير مما يظن ويتصور المربي، فالطفل يتأثر بنا ويقلد طريقتنا في معاملتنا... وعلاقتنا بجيراننا، وحديثنا عن زملائنا في العمل، دون أن نشعر نحن غالبًا بهذا الأمر.

فعلى المربي أن يكون حذرًا في سلوكه وخلاله متيقظًا لأفعاله وأعماله منتبهًا لكلامه وألفاظه، فعين الطفل متوجهة إليه وسلوكه وشخصيته متأثرة به.

خامسًا- الرحمة والحب:

الرحمة والحب من الدعائم الأساسية في التربية، إذ أن الطفل يحتاج إلى الحنان، وإظهار المحبة

(١) «مسئولية الأب المسلم».

والعطف عليه، وينبغي أن نُدرك أن الطفل في هذه المرحلة يعي تمامًا البسمة الحانية، وإظهار الحنان من خلال تقبيله وضمه، وقد استفاضت السُّنة المُطهرة لتقوية هذه الدعائم.

قال ﷺ: «**لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنَا وَيُوَقِّرْ كَبِيرَنَا**»(١).

وكان عليه الصلاة والسلام يظهر حبه للأولاد، ولا يخفيه، ففي الحديث الصحيح الذي أخرجه الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن الأقرع بن حابس رأى النبي ﷺ وهو يُقبِّل الحسن، فأخبر أن له عشرة من الولد لم يقبل أحدًا منهم، فما كان من النبي ﷺ إلا أن يعلنها دستورًا للمربين عمومًا فيقول: «**إِنَّهُ مَنْ لَا يرحم لَا يُرحم**».

---

(١) رواه الحاكم وصححه الألباني.

ففي مثل هذه التوجيهات والأجواء يترعرع الولد على الحب والرحمة والحنان فينشر رحمته على الخلق ويوزع بسماته على الناس ويعطف على الضعفاء، ويواسي المحتاجين، ويحب الخير لكل الخلق.

سادسًا- العدل:

فينبغي أن يُراعي المربي العدل بين الأولاد تفاديًا للتحاسد والتحاقد الذي يسبب الشقاق والبغضاء، قال ﷺ: «**اعْدِلُوا بَيْنَ أَوْلَادِكُمْ فِي الْعَطِيَّةِ**»[(١)]، بل كان يذهب ﷺ إلى أبعد من ذلك فيأمر بالعدل في القبلات، لهذا كان على المربي أن يتجنب أسباب التباغض والتحاسد بإقامة العدل بينهم وتوزيع محبته وحنانه عليهم.

---

(١) رواه البخاري.

سابعًا- المخالطة:

ينبغي للمربي أن يفرغ وقتًا للجلوس مع الأولاد فيقوم بواجب التوجيه والإرشاد، ويقوّم الخطأ والسلبيات ولا يهمل جانب الترفيه والسمر وإقامة الرحلات لما في ذلك من الأثر النفسي على الأولاد فالأولاد في الصغر يحبون الاحتكاك والمخالطة بآبائهم، ويجدون في الجلوس مع والدهم تسلية ومرحًا خاصة إذا كان الوالد ممن يحسن إدخال السرور والمرح على أولاده، ولنا في رسول الله ﷺ الأسوة والقدوة، رغم ما يحمله ﷺ من عِظم المشاغل، إلا أنه كان ﷺ كما تروي كتب الحديث والسير، يحمل الحسن والحسين على بطنه أو صدره، وربما بال أحدهم عليه، أو ربما جلس لهم عليه الصلاة والسلام، كالفرس يمتطيان ظهره الشريف، وربما صلى وهو

حامل أحد الأولاد أو البنات، ويُروى عنه أنه كان ﷺ يشمهم ويقبلهم ويضمهم إليه، فكان عليه الصلاة والسلام مع جلالة قدره وعلو منزلته، يفعل ذلك ليقتدي الناس به ولأنه يعلم أهمية هذه المخالطة في المجال التربوي للطفل.

ثامنًا- الحكمة والرفق:

قال ﷺ: «**إِنَّ اللهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ، وَيُعْطِي عَلَى الرِّفْقِ مَا لَا يُعْطِي عَلَى الْعُنْفِ**»[1]، فعلى المربي أن يكون معتدلًا في العقاب لا يغلظ ولا يشدد على الأولاد ولا يكثر من الوعيد والعقاب حتى لا يسقط وقع الكلام وهيبته متذكرًا أن المراد من العقاب التصحيح والتعديل، وليس الانتقام والتعذيب.

---

(١) رواه مسلم.

تاسعًا- الدعاء للأولاد:

الدعاء من أمضى الأسلحة وأقواها في صلاح الأولاد واستقامتهم، فلا ينبغي للمربى أن يهمل الدعاء للأولاد خاصة في أوقات الإجابة، وليحذر كل الحذر الدعاء على الأولاد لما في ذلك من فساد للأولاد يعود أثره السيء على الوالدين، بل يستبدل الدعاء عليهم بالدعاء لهم ولا بأس أن يجمعهم في بعض الأوقات ويدعو لهم، وكان من هديه عليه الصلاة والسلام ضم الأولاد والدعاء لهم.

فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ضمني رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى صدره وقال: «**اللَّهُمَّ عَلِّمْهُ الحِكمة**»(١)، وفي رواية: «**عَلِّمه الكِتاب**» وفي رواية في (الصحيحين): «**اللَّهُمَّ فَقِّهه في الدِّين**»، و«**عَلِّمه التَّأويل**»(٢).

---

(١) رواه الترمذي.
(٢) رواه أحمد.

ودعاء نبي الله إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ ربه أن يجنبه وذريته عبادة الأصنام: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴾ (إبراهيم:٣٥)

ونبي الله زكريا عَلَيْهِ السَّلَامُ يدعو طالبًا الذرية الطيبة: ﴿ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴾ (آل عمران:٣٨).

وهكذا الأنبياء كلهم عليهم السلام يتضرعون إلى الله بالدعاء راغبين خائفين، كما قال تعالىٰ عنهم: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴾ (الأنبياء:٩٠).